نحومشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم

علي بن عمر بادحدح
جامعة الملك عبد العزيز جدة –السعودية

المقدمة

الحمد لله {الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}، والصلاة والسلام على من أرسله الله { شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على الخير والحق هادياً ونصيراً، وبعد

فإن القرآن الكريم أعظم ما انصرفت في خدمته جهود المسلمين، فقد بذلوا جهودهم في تلاوته وتلقينه، ونذروا أوقاتهم في كتابته وتدوينه، وسخروا إمكانياتهم في ضبطه وحفظه، وأفنوا أعمارهم في تعلمه وتعليمه،، وأنفقوا أموالهم في طبعه ونشره،، وذلك على مرالعصور المتعاقبة والأجيال المتتالية، .بمشاركة عامة شملت الرجال والنساء والعامة والعلماء والأغنياء والفقراء، وهي صورة لا مثيل لها بين الأمم في عنايتها بكتبها التي أنزلها الله على رسلها.

وفي العصر الحاضر استمرت مسيرة الخدمة للقرآن الكريم بروح العصر ولغته وأدواته، فقامت المؤسسات والجمعيات التي تعنى بالتعليم والتحفيظ، وأنشئت الهيئات التي اختصت بالتأهيل والتدريب، وأسست الدور التي عنيت بالطبع والترجمة والتسجيل، وقدمت مئات بل آلاف الرسائل العلمية في شتى الموضوعات المتصلة بالقرآن الكريم، وعقدت المؤتمرات والندوات المتخصصة في موضوعاته وقضاياه، وصار ذلك ميداناً شعاره {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}، وتزاحم على شرف الخدمة الأغنياء قبل الفقراء، والحكام والعظماء قبل عامة الناس البسطاء، ولا يكاد يخلو بلد من بلاد الإسلام ولا تجمع من تجمعات المسلمين إلا وللقرآن الكريم من أعمالهم وأموالهم وأوقاتهم نصيب وافر بحمد الله.

وها نحن اليوم نشارك في مؤتمر عالمي موضوعه (**جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم**) الذي تشترك في رعايته والقيام به (**مؤسسة البحوث والدراسات العلمية**)، مع (**معهد الدراسات المصطلحية**)، في المملكة المغربية، وهو جهد مبارك يذكر فيشكر، وسبق وريادة في خدمة المصحف الشريف تُسجَّل وتُقدَّر، فلهم مني ومن المشاركين الشكر الجزيل والثناء الجميل على الجهد النبيل والعمل الجليل في خدمة الوحي والتزيل، ولهم شكر خاص للدعوة لهذا الملتقى الأول غير المسبوق .بمثيل، ولهم مني شكر أخص لدعوتي وتشريفي بالمشاركة بالقليل، بالاشارة إلى مشروع جليل جعلت عنوانه(**نحومشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم**).

وقد جعلت البحث في تمهيد خصصته لبعض خصائص القرآن التي تبرز عظمته وتوجب خدمته، وخصصت الفصل الأول لبيان مجالات خدمة القرآن الكريم، والثاني جعلته لأسس خدمة القرآن الكريم، أما (متطلبات الخدمة المثلى) فقد جعلتها في الفصل الثالث، وختمت البحث بالفصل الرابع وجعلته مطابقاً لعنوان البحث (نحو مشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم) أسأل الله أن يجعله لوجهه خالصاً، ولي وإخواني المسلمين نافعاً.والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المصدر الأول للتشريع، فهو هداية العقول وطمأنينة القلوب وراحة النفوس، في تلاوته لذة الذكر والمناجاة، وحلاوة الترتيل والتجويد، ومنفعة التفكر والتدبر، أمثاله حكم بالغة، وقصصه عبر نافعة، وأحكامه شرائع نافعة، وعده يحيي الرجاء ويذكيه، ووعيده يوجد الخوف ويدنيه.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم خصائصه كثيرة جداً، ولكن ما يهمنا في هذا التمهيد هو التركيز على الخصائص التي تبرز عظمة القرآن، وتبين منفعته مما يجلي أهمية خدمته ونشره، وجعلت هذه الخصائص تحت ثلاثة موضوعات على النحو التالي:

أولاً: خصائص التعظيم الرباني:

عظم الله سحانه وتعالى شأن القرآن تعظيماً ليس له مثيل ويكفينا في ذلك أن:

1- **القرآن كلام الله:** إن أعظم خصيصة للقرآن الكريم أنه كلام الله تعالى وحسبك بذلك عظمة لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 6) وقد وصف الله سبحانه القرآن بأوصاف كلها تدل على مكانته العظيمة ومترلته الرفيعة، من ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: قال القرطبي: (أي متناه في الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا)(1).

2- **القرآن عظيم الأثر:** قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: 21). (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته متذللا متصدّعا من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا

---

(1) بتصرف يسير من تفسير القرطبي – (ج 19 / ص 298).

يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرِض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً (2)، والقرآن عظمته في التأثير ظاهرة في (كمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد)(3).

وقال تعالى مخبراً عن عظمة تأثير القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: 31) قال ابن كثير: (لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له)(4). فالقرآن وهذا حاله وتلك عظمته حري بأن يخدم بكل ما يمكن.

3- **القرآن شرف لأهله وحملته والدعاة إليه:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف44). " شرف لنبينا صلى الله عليه وسلم، لانه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قوله عليه الصلاة والسلام: (القرآن حجة لك أو عليك)(5) "(6)، فيا أهل القرآن إنه (فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقدر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه، { وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفراً منكم بهذه النعمة)(7). فكيف إذن لا تكون خدمة القرآن في أعلى سلم الأولويات وهو محور الشرف ومربط الفرس للامة كلها.

---

(2) انظر: تفسير الطبري - (ج 23 / ص 300).

(3) تفسير السعدي ص: (**853**)

(4) تفسير ابن كثير (ج 4 / ص 460).

(5) صحيح مسلم (556).

(6) انظر: تفسير القرطبي - (ج 11 / ص 273)

(7) تفسير السعدي - (ص 766).

ثانياً: خصائص التأثير الإنساني:

القرآن الكريم مؤثر في الأحياء ومغير في واقع الحياة، وبيان ذلك:

1- **الهداية**: لقد وصف الله سبحانه القرآن بأنه كتاب قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]. (في هذه الآية الكريمة أجمل الله جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها واصوبها، ولو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم. لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة)[8].

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم (هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله. ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض...، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى؛ ولا تميل مع المودة والشنآن؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض، ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام)[9].

2- **الشفاء**: القرآن شفاء للروح والعقل والجسم، فشفاء الروح بهدايتها إلى خيري الدنيا والآخره، وشفاء العقل بكشف الشبهات، وشفاء الجسد بكبح الشهوات وسبيل ذلك كله مبين في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾ (الإسراء: 82) قال الطبري: (ونترل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم(وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا) يقول: ولا يزيد هذا الذي

---

[8] أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (ج 3 / ص 111).

[9] مختصرا من: في ظلال القرآن (ج 5/ص 8).

نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا: يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، و لم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبلُ)(10).

(وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روْح، وطمأنينة وأمان... في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة. فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن؛... وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان.. وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار... وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير. فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة،...كذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط فيحفظه سليماً معافى ويدخر طاقاته للإنتاج المثمر. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين...وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها. فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين)(**11**).

3- **الوعظ**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57) فهو موعظة (تحيي قلوبكم، وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشك الذي يسيطر عليها، والزيغ الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها. جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام مع الإيمان. وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل، ورحمة من الضلال والعذاب)(12). قال الآلوسي: (أي تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد والزجر عن الذنوب المتسببة للعقاب والتحريض على الطاعة الموجبة بفضل الله تعالى للثواب)(13). إنه خير موعظة ترق لها القلوب وتدمع منها العيون، وتعتبر بها العقول.

4- **الحاكمية**: لقد أنزل الله القرآن ليكون هو الحاكم بين الناس بالعدل والقسط، في كل شؤون حياتهم، فهو كتاب مؤثر في الحياة، حاكم على الأحياء، ليس مقتصراً على جانبه الروحي التعبدي، ولا منحصراً في بركته ومثوبته، بل هو كتاب ينبض بالحياة حيث يوجهها ويحكمها ويقود مسيرتها وقد أمر الله نبيّه ﷺ أن يحكم بين الناس بالقرآن المنزل عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

(10) تفسير الطبري - (ج 17 / ص 538).

(11) مختصراً من: في ظلال القرآن - (ج 5 / ص 42).

(12) في ظلال القرآن - (ج 4 / ص 162).

(13) روح المعاني - (ج 11 / ص 176).

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة: 48) وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: 105). جاء في التفسير الميسر: (إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن مشتملا على الحق; لتفصل بين الناس جميعًا بما أوحى الله إليك، وبَصَّرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -بكتمان الحق- مدافعًا عنهم بما أيدوه لك من القول المخالف للحقيقة)(14).

ولذلك استنكر الله تعالى على الذين يتحاكمون إلى غير القرآن فقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:50).

ومن ثم فكتاب معانيه وألفاظه شفاء، وتوجيهاته وإرشاداته هداية، وقصصه ونداءاته موعظة، وأحكامه وتشريعاته ديانة، كل ذلك يجعل القرآن الكريم محور حياة المسلمين مما يجعل خدمة القرآن الكريم هي الأكثر أهمية وتأثيراً.

ثالثاً: خصائص البقاء:

1- **الحفظ**: لقد أخبر الله سبحانه بأن القرآن محفوظ، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر9) فقد حفظه قبل نزوله، فقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ وحفظه أثناء نزوله فقال سبحانه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (الشعراء210-212). وبين عموم حفظه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(فصلت: 41-42).

(وأنى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب. وهو صادر من الله الحق. يصدع بالحق. ويتصل بالحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض؟وأنى يأتيه الباطل وهو عزيز. محفوظ بأمر الله الذي تكفل بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والمتدبر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحق الذي نزل به، والذي نزل ليقره. يجده في روحه ويجده في نصه. يجده في بساطة ويسر. حقاً مطمئناً فطرياً، يخاطب أعماق الفطرة، ويطبعها ويؤثر فيها التأثير العجيب)(15). وسيبقى القرآن محفوظاً حتى يرفعه الله تعالى بين يدي الساعة، وبقاؤه من وجوه عظمته ليظل أثره في الأفراد إيماناً وتزكية، وفي الأمة توجيها وحاكمية.

---

(14) مجمع الملك فهد. التفسير الميسر ص 103.

(15) في ظلال القرآن - (ج 6 / ص 299).

2- **الشمول**: لقد أنزل الله سبحانه القرآن ليكون منهج حياة للمسلم في كل شؤون حياته، فهو يشمل كل نواحي الحياة. ففي علاقة الإنسان بربه وغاية وجوده نرى قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) ونظّم العلاقات الاجتماعية فبين منزلة كل من الرجل والمرأة وخصائصه، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾(آل عمران: 36) وشرع أحكام الأسرة من زواج وطلاق ونحو ذلك، ووضع لهم نظاماً للتوارث فيما بينهم وتولى قسمة الفرائض بنفسه سبحانه في كتابه فقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ (النساء: 7). ونظّم الحياة الاقتصادية وشرع أحكام المعاملات المالية، ﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275) ووضع نظاماً لمعاقبة من يتجاوز حدود الشارع أو يتعدى على حقوق الخلق، فشرع الحدود والقصاص والديات ولكي تقام شعائر الدين وتحفظ حقوق العباد أرسى قواعد الحكم الإسلامي الرشيد، ووضع لها ضوابط تنأى بها عن الظلم والفساد، ونظم علاقة المسلمين بغيرهم، وجعل كل هذه التشريعات قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان وذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ... ﴾ [الأنعام:38].

الفصل الأول: مجالات خدمة القرآن الكريم

إن من أعظم الأعمال التي يَشْرُفُ بها المسلم أن يقوم بخدمة كتاب الله تعالى، وهذه الخدمة صورة مباشرة من صور العبودية لله تعالى بخدمة كلامه الكريم وشرعه الحكيم، وأول من تولى هذه الخدمة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وصاحب السرف العظيم في خدمة القرآن الكريم هو من أنزل عليه القرآن رسول الله ﷺ. ومجالات خدمة القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، وفيما يلي استعراض لأبرز هذه المجالات:

المجال الأول: خدمة التلقين والتلاوة: وتتمثل هذه الخدمة بتلقي القرآن ثم بتعليمه عن طريق التلقين الشفهي ونشره بين بين الناس تلاوة وحفظاً. وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على ما ينـزل عليه من القرآن، يُعنى به كل العناية ولقد كانت البداية معه ﷺ عندما تلقى الوحي من جبريل عليه السلام. ويمكن إبراز خدمة النبي وعنايته بكتاب الله في النقاط التالية:

1- **الحرص على الحفظ**: قال ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا أنـزل عليه الوحي يلقى منه شدَّة، وكان إذا نـزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى ويحرك به شفتيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره. فأنـزل الله عليه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة 16-19] فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل(16). وقد كان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في كل عام، حيث كان جبريل ينزل للنبي ﷺ في رمضان من كل عام يدارسه القرآن، حتى كان العام الذي توفي فيه ﷺ عارضه القرآن مرتين(17).

2- **الحرص على التلقين:** كانت أولى مهام الرسول ﷺ تلاوة القرآن على أصحابه ليتعلموا منه قراءته على الوجه الأكمل. فما إن ينزل عليه جبريل بالوحي حتى يبلغه لأصحابه ويقرؤه عليهم فتتلقفه قلوبهم وعقولهم. ويدل على ذلك قوله جل وعلا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2). وكانت طريقته في القراءة والكلام تساعد على حفظ كلامه، يقول أنس خادم النبي ﷺ واصفاً حديثه ﷺ وكلامه أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه(18).

وكان ﷺ يحث أصحابه ويشجعهم على حفظ القرآن وتعلمه، فيقول ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(19) وكان يثني على القراء منهم، كقوله ﷺ (أقرؤهم أُبي)(20) ويقول ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد)(21)، كما كان يحرص على سماع تلاوة أصحابه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ اقرأ عليَّ القرآن. قلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾ (النساء: 41) قال حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(22)، يحب ﷺ أن يسمع القرآن من غيره ومن فوائد ذلك أنه في الغالب يتأكد من حسن أخذ الصحابة للقرآن وحفظهم وتلاوتهم له.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كان ﷺ إذا قدم الرجل مهاجرا إليه دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن(23).

---

(16) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 704/4.

(17) صحيح البخاري (3426)، ومسلم (2450).

(18) رواه البخاري، رقم: 94، 95.

(19) صحيح البخاري (4739).

(20) مسند أحمد (14022)، سنن الترمذي (3791) وقال: حسن صحيح.

(21) مسند أحمد (35).

(22) صحيح البخاري (4768)، ومسلم (800).

(23) من حديث أخرجه الحاكم (5527)، والبيهقي (11463).

3- **حرص الصحابة على حفظ القرآن وتعليمه:** لقد حرص الصحابة على تعلم القرآن الكريم وتلقيه من رسول الله ﷺ أيما حرص، فهذا بن مسعود ﵁ يقول: (أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَبْعِينَ سُورَةً وَلاَ يُنَازِعُنِى فِيهَا أَحَدٌ)(24).

وعن عمر ﵁ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى الصلاة على غير ما أقرأها وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله: إنى سمعته يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال: إقرأ فقرأ القراءة التى سمعتها منه فقال: هكذا أنزلت، ثم قال لى إقرأ، فقرأت فقال: هكذا أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه(25).

قال ابن حجر: (الْمُرَاعَى فِي ذَلِكَ السَّمَاع مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُشِير إِلَى ذَلِكَ قَوْل كُلّ مِنْ عُمَر وَهِشَام فِي حَدِيث الْبَاب أَقْرَأَنِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(26).

وكانت لأصحاب النبي ﷺ مجالس يتدارسون فيها القرآن ويعلم بعضهم بعضاً، لا سيما أهل الصفة منهم حيث كان هؤلاء أضياف الإسلام متفرغون لتلقي القرآن والسنة عن رسول الله ﷺ والجهاد معه، ومنهم أبو هريرة ﵁ وأبو سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة الكرام ﵁.

وهذا عبد الله بن عمر ﵁ يصف حال الصحابة مع تلقي القرآن بقوله: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه)(27).

وقد كثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة فمنهم من حفظه كله ومنهم من حفظ بعضه، ومما يدل على كثرتهم أنه في حادثة بئر معونة وحدها قتل منهم سبعون قارئاً، وفي اليمامة قتل منهم نحو ذلك مما جعل عمر ﵁ يقترح على أبي بكر ﵁ جمع القرآن.

وبذلك يتأكد لنا أن عدد حفاظ القرآن كله أو بعضه في زمن النبي ﷺ لا يحصون كثرة، وقد عرف بعض الصحابة بالإقراء كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وأبو الدرداء الذي أقرأ القرآن في

---

(24) مسند أحمد (4418).

(25) صحيح البخاري: (4754)، صحيح مسلم (818).

(26) فتح الباري لابن حجر - (ج 14 / ص 200).

(27) المستدرك للحاكم (101) علق الذهبي بقول: على شرطهما ولا علة له.

جامع دمشق قرابة أربعين سنة، وكانت له في ذلك طريقة فريدة، وقد انتقل القرآن منهم إلى من بعدهم من التابعين متواتراً يتلقاه جيل عن جيل إلى يومنا هذا.

وظهرت العلوم التي تضبط النقل الصوتي للقرآن متمثلة في علم التجويد وعلم القراءات، فوصل القرآن إلينا غضا طرياً كما أنزل على النبي ﷺ.

وحسبنا بعلم القراءات دليلاً على عظمة جهود الأمة في خدمة القرآن حيث أتقنوا الأداء ووثقوا التلاوة بشتى الوجوه مشافهة وتلقيناً، كما تتبعوا الأسانيد وأثبتوا التواتر،، ثم أصلوا وفرعوا، حتى تبلورت القراءات العشر المتواترة، وبعد ذلك صنفوا المنظومات الجامعة والكتب المبينة لتلك القراءات ولأسانيدها ولأوجه القراءة فيها، مع التمييز بينها وذكر أصول كل منها، ولدقة المتناعية في بيان الروايات عن كل راو من رواة القراء وهكذا حتى استوى هذا العلم على سوقه ضاهذاً من شواهد الجهود الجبارة في خدمة القرآن الكريم.

ثانياً: خدمة التدوين والكتابة:

-كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ: لو اقتصر النبي ﷺ في توثيق القرآن بحفظ أصحابه ودقتهم في ذلك مع كثرتهم لكان كافياً لما كانوا عليه من ضبط لكتاب الله تعالى وحرص عليه، مع كثرة عددهم وبلوغ نقلهم حد التواتر، إلا أنه ﷺ لم يكتف بذلك بل اتخذ كتاباً للوحي يكتبون كل ما ينزل عليه من القرآن، وكان في أول الأمر ينهى عن كتابة غير القرآن حتى لا يشتبه به شيء، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)(28) وفي رواية الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه)(29).

ويدل على ذلك ما رواه جحيفة قال: سألت علياً ﷺ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لاَ، إِلاَّ كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ قُلْتُ فَمَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ (30).

و لم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب في ما تيسر للصحابة من العظام والجلود والعسب واللخاف وغيرها من أدوات الكتابة. يقول زيد بن ثابت ﷺ: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن

---

(28) رواه مسلم رقم 3004 باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(29) رواه الحاكم في المستدرك (437).

(30) صحيح البخاري (111).

من الرقاع(31). قال البيهقي يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ.

فاجتمع للقرآن حفظ الصدور وحفظ السطور تحقيقاً لوعد الله سبحانه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

-جمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه: روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قصة جمع القرآن حيث قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر وهو والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر رضي الله عنه: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر(32).

قال الليث بن سعد: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وأن آخر سورة براءة لم توجد [أي مكتوبة] إلا مع خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها فإن رسول الله جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده(33).

- **نسخ القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه**:

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف

---

(31) مسند أحمد (21647)، سنن الترمذي (3954) وقال حسن غريب.

(32) رواه البخاري رقم: 4701، باب جمع القرآن، 1907/4

(33) انظر: السيوطي ، الإتقان 163/1. الزرقاني، مناهل العرفان 285/1.

ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(34).

- **الرسم العثماني:**

لما كان القرآن قد أنزل على سبعة أحرف، كان لا بد من كتابة القرآن بطريقة تجمع أوجه القراءة المختلفة، فكان السبيل إلى ذلك الكتابة بطريقة تجمع وجوه القراءات في الأحرف التي نزل عليها القرآن من عدم إعجامها (النقط) وشكلها (الضبط) ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد. وسمي هذا الرسم بالرسم العثماني نسبة إلى المصاحف التي نسخت بأمر من أمير المؤمنين عثمان ﷺ.

وبعد ذلك ظهرت العلوم التي تضبط النص القرآني وتحفظه - بإذن الله تعالى - من التحريف فكان علم الرسم وعلم الضبط (النقط والشكل). حيث صارت تكتب المصاحف منقوطة بما يوافق الرواية التي يقرأ بها أهل كل مصر، وكذلك ضبطت كلماته وحروفه بالشكل حتى لا يقع القراء في الخطأ أثناء تلاوته.

شهادة الواقع:

واليوم وبعد خمسة عشر قرنا من الزمان لا يزال القرآن بين يدي المسلمين اليوم لم يتغير فيه شيء عما كان عليه زمن النبي ﷺ، فهو برسمه ولفظه وترتيب سوره وآياته موافق لما كان عليه في العرضة الأخيرة التي عرض فيها رسول الله ﷺ القرآن مع جبريل عليه السلام في العام الذي توفي فيه ﷺ، وموافق في رسمه لما كتب بين يدي النبي ﷺ ثم في المصاحف في زمن الخليفة الراشد عثمان رضي الله وأرضاه واجمع عليه الصحابة الكرام ﷺ، وشهادة الواقع قائمة بتطابق النسخ اليوم في كل انحاء الدنيا دون خلاف، إضافة إلى الاتفاق التام والتطابق الكامل في التلاوة والقراءات بين جميع المسلمين في كل أقطار الدنيا.

واستمرت العناية بكتابة المصحف باليد ونسخه، وقد كان كبار الخطاطين المهرة يبدعون في كتابته وإظهار براعتهم في تزيينه إلى أن ظهرت المطابع وطبعت أول نسخة من المصحف الشريف، وبدأت خدمة الطباعة لكتاب الله الكريم.

---

(34) صحيح البخاري (4987).

ثالثاً: خدمة الطباعة والتوزيع:

مضى قدر الله بأن سخر لطباعة كتابه غير المسلمين حيث كانت أول طبعة للمصحف في البندقية بإيطاليا 1530م والثانية في هامبورج بألمانيا عام 1694م[35]. وقد طبع المصحف كذلك في روسيا وفي بعض الدول الأوروبية، إلا أن هذه الطبعات ورغم تعددها لم تحظ بعناية المسلمين؛ لمخالفتها قواعد الرسم العثماني الصحيح. وسبب طبع المصحف الكريم في هامبورج والبندقية وجود المطابع فيهما دون البلاد الاسلامية كما هو ظاهر.

وفي إيران طبع المصحف طبعتين حجريتين في كل من طهران عام 1244هـ (1828م)، وفي تبريز عام 1248هـ (1833)م، كما ظهرت طبعات أخرى في الهند وفي الآستانه اعتبارًا من عام 1887م. إلا أن الملاحظ على جميع تلك الطبعات عدم التزامها بقواعد الرسم العثماني، الذي حظي بإجماع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واعتمدت تلك الطبعات على قواعد الرسم الإملائي الحديث إلا في نزرٍ يسير من الكلمات كتبت بالرسم العثماني.

واستمر الوضع على ذلك حتى عام 1308هـ (1890م) عندما قامت المطبعة البهية بالقاهرة، لصاحبها ((محمد أبو زيد)) بطبع المصحف الذي كتبه الشيخ المحقق."رضوان بن محمد" الشهير بالمخللاتي"، والتزم فيه بخصائص الرسم العثماني، واعتنى بأماكن الوقوف مميزًا كل وقف بعلامة دالة عليه وقد عرف هذه المصحف (بمصحف المخللاتي)، ثم جاءت بعدها طبعة الملك فؤاد بإشراف لجنة من مشائخ القراء في الأزهر الشريف وكانت الطبعة الأولى منه عام 1342هـ (1923)م.

وتتابعت بعد ذلك طبعات المصحف في مختلف بلاد الإسلام ومن أشهر المطابع المتخصصة المعتنية بطباعة المصحف في عصرنا الحاضر:

أ- مطبعة وقف الخيرات بتركيا:

أُسِّس وقف الخيرات في ناحية كوشك شكماجه بإستانبول- تركيا عام 1947م من قبل الأستاذ أحمد خسرو آلتين باشاق الذي هو تلميذ الإمام المجدد بديع الزمان سعيد النورسي وأقرب رفقاء دربه إليه، والذي استخلفه من بعده، وكان من أهداف هذا الوقف:

طبع المصحف وتوفير الورق من الخارج للطباعة وتوفير آلات الطباعة وتأسيس مطبعة لذلك.

وقامت المطبعة بطباعة ما سمي بـ "مصحف التوافق" وهو بخط الخطاط (حافظ عثمان) الذي كتب مصحفاً تبدأ كلّ صفحة فيه بآية وتنتهي بآية في منتهى اللطافة والروعة، وقد جعل آية المداينة

---

(35) انظر: تاريخ القرآن الكريم، ص186، محمد طاهر الكردي.

مقياسًا لأطول آية في الصفحة الواحدة، وسورة الكوثر وسورة الإخلاص لأقصر سورة في السطر الواحد.

ومصحف التوافق: يظهر التوافق الموجود في القرآن من خلال تلوين بعض الكلمات، فمثلاً: لقد تكرّر لفظ الجلالةِ ''الله'' ألفين وثمانمائة وستّ مرّات، وكلّ مرّة من هذا التّكرار تتوافق بشكل بديع في هذا المصحف مع غيرها من ألفاظ الجلالة الأخرى، فإمّا تأتي تحت بعضها في صفحة واحدة، وإمّا تأتي وجها لوجه في صفحات متقابلة، وإمّا في ظهر بعضها البعض في صفحات أخرى. إنّ كلمات كثيرة ذات حكمة تنشأ عن أصل واحد، أَو تحمل المعاني نفسها، أو تحمل المعاني المتقاربة تتوافق بانسجام لطيف.

ب- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة:

في شهر المحرم من عام 1405هـ (1984)م، افتتح الملك فهد بن عبد العزيز هذا المجمع ليكون أعظم وأكبر مطبعة في العالم تقوم على خدمة القرآن الكريم في المدينة المنورة، وهو أول عمل حكومي رسمي لطباعة القرآن الكريم وسمي المصحف بمصحف المدينة النبوية.

وقد طبع المجمعُ المصحف بعدة روايات، منها مصحف رواية حفص عن عاصم (بعدة طبعات)، ومصحف رواية ورش عن نافع، ومصحف رواية الدوري عن أبي عمرو، ومصحف رواية قالون عن نافع. كما طبعت في المجمع عدة ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغات مختلفة. وسجلت عدة ختمات بأصوات قراء مشهورين وتحت مراقبة لجنة متخصصة من علماء القراءات.

ج- دار مصحف إفريقيا في الخرطوم:

انبعثت فكرة تأسيس الدار لتلبية حاجة المسلمين في كثير من البلاد الإفريقية إلى المصاحف، خاصة وأن أفريقيا - مع ما تعانيه من فقر وحاجة - يقرأ أهلها القرآن بأربع روايات هي: حفص عن عاصم، وقالون وورش عن نافع، والدوري عن أبي عمرو، وإنه لمن أوجب الواجبات توفير المصاحف لهم بهذه الروايات التي يتلون بها القرآن الكريم، كما أن هناك شحاً كبيراً بل ندرة حقيقية لتوفر المصحف الشريف في كثير من أنحاء إفريقيا.

ومن هنا انطلقت فكرة دار مصحف إفريقيا، وتم افتتاح الدار في 25 ربيع الثاني 1422ه، والموافق 16 يوليو 2001م، وهي دار وقفية غير ربحية متخصصة في طباعة وزخرفة المصحف الشريف، ولها مجلس أمناء مكون من عدد من الشخصيات من دول عربية وإسلامية مختلفة، ومقرها الخرطوم عاصمة جمهورية السودان.

د- مصحف قطر:

في 20 /5/ 2000م، وافق سموأمير دولة قطر على اقتراح بطباعة مصحف باسم (مصحف قطر) فأقيمت مسابقة لاختيار الخطاط الذي سيكتب المصحف ففاز بها الخطاط (عبيدة البنكي) من سورية، وقام بكتابة المصحف وقامت بمراجعته لجنة متخصصة ثم راجعته لجنة مراجعة المصاحف في الأزهر ووصفته بالتحفة الفنية، وقد أنجزت الطبعة الأولى من المصحف التي شملت حوالي 700 ألف نسخة بميزانية بلغت 25 مليون ريال قطري في مطابع ماس التركية ووصل إلى الدوحة خلال شهر رمضان من عام 1430هـ وأعلن عن تدشين مصف قطر رسمياً في حفل حضره أمير دولة قطر يوم الثلاثاء الموافق 2010/3/9م.

رابعاً: خدمة البيان والتفسير:

لقد كان من مهام النبي ﷺ تبيين ما أنزله الله عليه من القرآن لكي بفهموه ويعلموا به، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44) فكان يبين لأصحابه ما يشكل عليهم فهمه من القرآن، وقام بهذه المهمة أصحابه من بعده، ووجدت العلوم المختلفة التي تخدم القرآن الكريم، وتخصص في ذلك علماء أفذاذ، وتنوعت علوم القرآن تنوعاً كبيراً حتى وصل بها السيوطي في الإتقان إلى أكثر من ثمانين علماً.

وسنتعرض بإيجاز شديد لبعض العلوم التي خدمت بيان القرآن الكريم وتفسيره:

1- العناية بالغريب:

وهو من أولى العلوم التي يحتاجها القارئ للقرآن ليفهم كلام ربه، يقول الأصفهاني: (إن القرآن وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فإنه:

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا........

ثم قال: أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية.

ومن العلوم اللفظية تحقيق الالفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه.

وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم) (36).

وقد ألفت في خدمة غريب القرآن كتب كثيرة ومن أمثلتها: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وغريب القرآن لابن قتيبة، ومن كتب المعاصرين: كلمات القرآن تفسير وبيان لحسنين مخلوف.

2- العناية بإعراب القرآن:

كان لفظ إعراب القرآن يطلق على فهمه، وقد وردت في ذلك آثار عن بعض الصحابة، منها قول عمرﷺ (تعلموا إعراب القرآن كما تعلموا حفظه)(37). قال السيوطي في الإتقان: (المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهوما يقابل اللحن)(38). ثم صار الإعراب علماً مختصاً بتحديد حركة أواخر الكلمات، وهو علم النحو الذي به يعرف إعراب الكلمة.

يقول مكي القيسي في مقدمة كتابه: (مشكل إعراب القرآن): (وأفضل ما القارىء إليه محتاج معرفة إعرابه والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، يكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على أحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب وتصح معرفة حقيقة المراد)، ومن المعلوم أن المشتهرهو الإعراب النحوي المعروف، وفيه كتب كثيرة ألفت قديماً وحديثاً من أمثلتها: (إعراب القرآن لأبي الحسن الزجاج) (مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي) (التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري)، ومن أمثلة كتب المعاصرين (الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه لمحمود صافي) (إعراب القرآن الكريم لمحيي الدين درويش) (الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح).

3- العناية بالمتشابهات:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً ﴾ (الزمر: 23)، وجاء في تفسير المتشابه في هذه الآية: قول قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف. وزاد الحسن: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها(39).

---

(36) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص5-6.

(37) جامع الأحاديث للسيوطي رقم: (29708).

(38) الإتقان في علوم القرآن - (ج 1 / ص 134)

(39) تفسير ابن كثير 93/7.

وهناك مؤلفات ألفها العلماء لضبط هذه المتشابهات ومساعدة حفاظ القرآن على ضبطها، وذلك ببيان مواضعها والفرق فيما بينها، وقام بعض العلماء إضافة إلى ذلك بالاجتهاد في بيان أوجه الحكمة من التشابه والاختلاف في الآيات المتشابهة ببيان الفروق الدقيقة والمعاني البليغة المترتبة عليها، وهذا التبيان من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

ومن الكتب التي ألفت في ذلك على سبيل المثال كتاب [فتح الرحمن في كشف ما يلتبس من القرآن] لشيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري، ومنها [درة التأويل وغرة التنزيل] للخطيب الإسكافي، ومنها [أسرار التكرار في القرآن] للإمام محمود بن حمزة الكرماني، ومنها [متشابه القرآن] لأبي الحسين منادى، و(ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبيرالثقفي العاصمي الغرناطي)، ومن مصنفات المعاصرين:(إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ لمحمد طلحة أحمد منيار) و(كنز الحفاظ في متشابه الألفاظ لمحسن الترجمان) وغير ذلك.

4- العناية بالتفسير:

لقد تنوعت مناهج التفسير تنوعاً كبيراً، وألفت وفقها تفاسير كثيرة، وأشهر هذه المناهج:

1- **التفسير بالمأثور**: ويشمل تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة وبما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ومن أشهرها تفسير الإمام الطبري وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.

2- **التفسير بالرأي**: وهو أن يجتهد المفسر في فهم النص القرآني وفق لغة العرب. وهو محمود إن كان المفسر ممن استكمل شروط ومؤهلات المفسر وكان في تفسيره يسعى لفهم القرأن بعيداً عن الهوى، ومن جهة أخرى يكون مذموماً إن كان ناتجاً عن جهل أو لتأييد بدعة من البدع، ومن أشهرتفاسير الرأي: تفسير مفاتح الغيب للإمام الفخر الرازي، وتفسير روح الأماني للألوسي.

3- **التفسير الفقهي**: وهو التفسير المشتمل على العناية ببيان الأحكام الفقهية والتوسع في ذلك، كتفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، وكذا الكتب التي اقتصرت على تفسير آيات الحكام وحدها مثل (أحكام القرآن للإمام الشافعي) و(أحكام القرآن لابن العربي المالكي).

4- **التفسير اللغوي**: وهو تفسير يعتني ببيان إعراب القرآن ووجوه الخلاف النحوي وبيان فنون العربية من اعلوم البلاغية ونحو ذلك. كتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية.

وأنواع ومناهج التفاسيرأكثر من ذلك، وأما كتب التفسير فأكثر من أن تحصى وهي تمثل ثروة ضخمة لا نظير لها، وفيها من العلوم ما يعجز القلم عن تصويره وغزارته وروعته.

وإضافة إلى ذلك ظهرت في عصرنا الحاضر تفاسير كثيرة جداً يصعب حصرها من أشهرها: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، وتفسير محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، وتفسير تيسير الكريم المنان لابن سعدي، والأساس في التفسير لسعيد حوى، وتفاسير أخرى لا تحصى.

وقد أشار السيوطي إلى تعدد مناهج المفسرين وبين سببه بقوله: ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير... ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه. فالنحوي تراه ليس له همّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحوومسائله وفروعه وخلافياته.... والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفائها والإخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أوباطلة... والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين... وصاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية... والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد(40).

خامساً: خدمة الترجمة والتقريب:

المراد بترجمة القرآن ترجمة معاني ألفاظه وتراكيبه، وترجمة المعاني الإجمالية لآياته، مع الاجتهاد لأعلى درجات الوفاء بمطابقة الترجمة لمعاني القرآن ومقاصده، وليس المراد الترجمة الحرفية المباشرة لألفاظه وتراكيبه لأن القرآن نزل {بلسان عربي مبين} ولا يكون مراد الله لخلقه مفهوماً على وجه الكمال والتمام إلا باللغة التي نزل بها. ومن ثم فإن المراد هو التعبير عن معنى كلام الله تعالى بكلام آخر من لغة أخرى غير العربية مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، ببيان المعنى المراد والمقصد الذي اشتمل عليه.

أهمية ترجمة معاني القرآن:

أرسل الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ خاتماً الأنبياء ورحمة للعالمين، كلهم، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وأنزل عليه القرآن الكريم خاتماً للكتب السماوية ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾.

---

(40) انظر: الإتقان في علوم القرآن – (ص 455).

ولما كانت أمة الإسلام على منهج النبي الكريم ﷺ كانت هي رائدة الأمم، وكانت لغتها العربية هي لغة العلم والمعرفة، و لم يكن تعلم العربية مقتصراً على من يريد الدخول في الإسلام، بل كان الواجب على من أراد العلم والمعرفة أن يتعلم العربية ليتعرف على ما توصل إليه علماء المسلمين الأفذاذ من تقدم في شتى صنوف المعرفة.من خلال الاطلاع على كتب علماء المسلمين.

ولما كان من واجب المسلمين توعية المسلمين من غير الناطقين بالعربية بأمور دينهم، وتبليغ الإسلام ونشره في ربوع المعمورة للشعوب غير المسلمة، وذلك الوجوب قائم مع أن اللغة العربية ليس لها وجود يذكر في الأقطار غير الإسلامية، بل إن وجودها وانتشارها اليوم محدود في البلاد الإسلامية، ومن ثم فإن هذا الوضع أصبح عائقاً في سبيل إقامة الحجة على العباد ودعوتهم للخروج من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فكان لابد من ترجمة معاني القرآن لتسهيل عملية التبليغ لغير العرب وكذلك لتسهيل فهم هذا الدين على غير العرب من المسلمين.

حكم ترجمة معاني القرآن:

أجاز العلماء ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسير القرآن، ويسمى هذا النوع من الترجمة (**الترجمة التفسيرية:** وهي عبارة عن شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، دون محافظة على أصل النظم وترتيبه، ودون محافظة على جميع معانيه المرادة منه، وذلك يفهم المعنى المراد من الأصل ثم صياغة هذا المعنى بتركيب من اللغة المترجم إليها ليؤدى وفق الغرض الذي سيق له. ويشترط لجواز هذه الترجمة شروط أبينها فيما يلي:

شروط الترجمة التفسيرية:

1- أن تكون الترجمة على شريطة التفسير، فلا يعول عليها إذا لم تكن مستمدة من علوم العربية وفي ضوء ما ورد من الأحاديث النبوية، والأصول المقررة في الشريعة الإسلامية، فلا بد للمترجم من الاعتماد في استحضار معنى الأصل(القرآن) على الأصول المقررة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعاني اللغة وأقوال سلف الأمة وإلا فلا تجوز تلك الترجمة ولا يعتد بها.

2- أن يكون المترجم عارفاً باللغتين – اللغة العربية واللغة المترَجَم إليها–، ويعرف أساليب كل منهما وخصائصها وأسرارها معرفة تامة وقوية، والأصل أن تكون إحدى اللغتين هي لغته الأم مع تمكنه منها، ويكون علمه باللغة الأخرى قوياً من حيث المعرفة والدراسة، إضافة إلى العمق والممارسة بكل المهارات اللغوية فهماً ونطقاً وتحدثاً وكتابة.

3- أن تكون الترجمة وافية بمعاني الأصل ومقاصده على وجه مُطَمئِن.

4- أن يكون المترجم بعيداً عن الميل إلى عقيدة زائغة أو ضالة. تؤثر على معالجته للمعاني عند الترجمة.

5- أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل بأن يكتب القرآن أولاً ثم تكتب ترجمته، أو تكون الترجمة منفصلة انفصالاً كاملاً (41).

وهذه الترجمة لا يمكن أن تسمى قرآناً، وإنما هي ترجمة لمعاني القرآن، ولا تصح الصلاة بها ولا تنطبق عليها الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن الكريم.

موجز تاريخ ترجمة القرآن(42):

ترجمات معاني القرآن الكريم من قبل المسلمين لغرض فهم الدين وتفهيمه لمن لا يعرفون العربية بدأت بالترجمة الفارسية التي تمت عام 345هـ، أي في منتصف القرن الرابع الهجري، في عهد الملك الساماني أبي صالح منصور بن نوح بن نصر وهي ترجمة مختصرة لتفسير الطبري، وهذا يدل على تحرج المسلمين من قبل من الإقدام على هذا العمل، ونعلم من خلال السياق التاريخي أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية للبلدان التي افتتحها المسلمون وكان يتعين على كل من أراد أن يتعلم أمور الدين وينخرط في المجتمع أن يتعلم اللغة العربية، فكل المثقفين كانوا يتقنون اللغة العربية ولكن مع ضعف الخلافة انفردت كل دويلة إسلامية بذاتها و لم يعد للغة العربية مكانتها الأولى في الدول التي يتكون غالبية أهلها من غير العرب، ولذا نجد أنهم اعتنوا بهذه الترجمة عناية كبيرة، وأحضر النص العربي لتفسير الطبري من بغداد الملك منصور بن نوح وهو في أربعين مجلداً، ولما وجدوا صعوبة في قراءته وفهمه رأى ترجمته إلى الفارسية، وجمع لذلك نفراً من علماء بلاد ما وراء النهر واستفتاهم في جواز ترجمته فأفتوه بجوازها ليستفيد منها الذين لا يعرفون العربية واعتمدوا في فتواهم على قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: 4)، ومع هذا فقد عقدت لجنة للقيام بهذه الترجمة، وجعلوا الأصل هو المهيمن عليها تماماً إذ كانت مغرقة في الحرفية و لم يترجم إلا ما يعادل عشر التفسير، بل وحتى الترجمة التركية التي قيل إنها كانت مزامنة لهذه الترجمة حذت حذوها.

عدد اللغات التي ترجمت إليها معاني القرآن الكريم(43):

تذكر الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم التي رصدت جميع ترجمات معاني القرآن الكريم المطبوعة منذ عام 1515-1980م، أن عدد اللغات التي ترجمت إليها معاني القرآن

---

(41) ينظر: التفسير والمفسرون 29/1، مناهل العرفان 113/2.

(42) انظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول، مقارنة كمية ونوعية بين ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات الإنجيل، د. وليد بن بليهش العمري، [نشر هذا البحث ضمن أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد صدرت أبحاث الندوة عام 1426هـ، بعنوان: «الأبحاث المستكتبة والمحكمة لندوة اللغات والترجمة الواقع والمأمول»، وجاء هذا البحث في الصفحات من [333-392]].

(43) انظر: المصدر السابق.

الكريم هي 56 لغة، بلغ عدد الترجمات الكاملة الصادرة بهذه اللغات 557، وعدد الترجمات الجزئية 883.

إلا أن محمد شيخاني يذكر أنه تمت ترجمه معاني القرآن الكريم كاملاً إلى 79 لغة، وجزئياً إلى 49 لغة(44).

ويذكر الباحث الدكتور محمد حميد الله أنه جمع ترجمات معاني القرآن الكريم إلى كل اللغات ونشرها في كتابه "القرآن بكل لسان" عام 1364هـ وكان عددها في ذلك الوقت 23 لغة، وفي عام 1406هـ بلغ عدد اللغات 140 لغة أغلبها ترجمت إليها معاني القرآن الكريم ترجمة كاملة وبعضها ترجمة جزئية(45).

وقد أصدر مركز الترجمات في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 45 ترجمة لمعاني القرآن إلى أهم لغات الشعوب الإسلامية واللغات العالمية، تحتوي مكتبة المركز على ما يزيد عن 800 ترجمة للقرآن الكريم إلى أكثر من مئة لغة، كما تحتوي على نسخ من عدد من الترجمات النادرة(46).

مقارنة بالأرقام(47):

- اللغات التي ترجمت إليها معاني القرآن الكريم تشمل جميع اللغات العالمية الرئيسة تقريباً، وفي الدول التي يتحدث سكانها بأكثر من لغة فغالباً ما تتوافر ترجمة بإحدى هذه اللغات، ولم تُغفَل إلا اللغات المحلية التي لا يفهمها إلا عدد قليل جداً من الناس، واللهجات المتفرعة من اللغات الكبيرة.

1- وجود أكثر من ترجمة واحدة باللغة الواحدة، وتذكر الببلوجرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم أن هناك 300 ترجمة أردية كاملة و470 ترجمة جزئية، بينما صدرت بالإنجليزية 295 ترجمة كاملة و 131 ترجمة جزئية(48)، ووراء هذا التعدد عوامل عديدة منها:

---

(44) محمد شيخاني، "المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم"، بحث مقدم في الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، إصطنبول، 1986م، ص 137-148 . نقلاً عن ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول، ص15.

(45) محمد حميد الله، "فهم القرآن لمن لا ينطق بلغة الضاد"، بحث مقدم في الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، إصطنبول، 1986م، ص 49-70 نقلاً عن ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول، ص16.

(46) ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول ص: (21).

(47) انظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول، ص22.

(48) وما تزال هذه الأرقام في ازدياد إذ يذكر د/ عبد الرحيم القدوائي (في ببليوجرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، قيد النشر بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) أن عدد طبعات ترجمات معاني القرآن الكريم الكلية والجزئية

أ)اتجاهات المترجم، فكما في التفاسير هناك ترجمات بعدد الفرق الإسلامية، بل زد على ذلك ترجمات المستشرقين وغيرهم.

ب) التزام الترجمة بالحرفية أو بنقل المعنى، فأي منها قد يكون هو السبب في إحساس المترجم بالحاجة لترجمة جديدة.

ج) الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها الترجمة وما لهذه من تأثير على اللغة المستخدمة وطريقة التفسير، إذ يلاحظ كثرة ظهور الترجمات التي تُبرز الإعجاز العلمي في القرآن في الوقت الراهن.

د) الغرض الذي تخدمه الترجمة فهناك ترجمات لأغراض معينة مثل ترجمة معاني القرآن للناشئة، أو للمسلمين دون غيرهم. وهذا التعدد والتنوع لا يوجد على المنوال نفسه في ترجمات الإنجيل.

2- بالمقارنة بين عدد ترجمات القرآن وعدد ترجمات الإنجيل نجد أن الإنجيل – أو على الأقل أحد كتبه – تُرجم إلى 2009 لغة ولهجة يشكِّل من يتحدث بها على الأقل 97% من عدد سكان العالم.

سادساً: خدمة البرمجة والتقنية:

لقد أصبح استخدام التقنيات الحديثة أمراً شائعاً في حياتنا، فلا يكاد يخلو بيت من جهاز هاتف محمول أو جهاز حاسب آلي (كمبيوتر). وصارت التقنية والتعامل معها تنافس مصادر التعليم الأخرى كالكتب والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة، ونظراً لسهولة هذه التقنيات وكثرة خدماتها إضافة إلى سعة انتشارها المتزايد؛ لذا كانت خدمة القرآن الكريم من خلال التقنيات الحديثة أمراً مطلوباً وملحاً، وبحمد الله فقد تكاثرت جهود الأمة في خدمة كتاب الله تعالى في جوانب شتى، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- خدمة النص القرآني:

وجدت برامج كثيرة توفر النص القرآني وتسهل الوصول إلى الآيات القرآنية من خلال آليات البحث المختلفة، وتوفرت إمكانية نسخ النص القرآني بالرسم الإملائي وبالرسم العثماني ليكون ضمن المطبوعات المختلفة، وفي ذلك حماية للقرآن من كثرة الأخطاء التي يقع بها العاملون في الطباعة عادة لا

الصادرة باللغة الإنجليزية بلغ حتى عام 2001 ما يقارب 829 طبعة. ويذكر د. أ. نعمة الله عدداً من الأسباب التي أدت إلى هذا التعدد في بحث له منشور على الإنترنت بعنوان:

" Translating The Holy Qur’an: Is There an Ultimate Translation of the Holy Qur’an"، أي: "هل هنالك ترجمة تامة للقرآن الكريم".

سيما من غير المسلمين. ومن أفضل البرامج في ذلك (مصحف النشر المكتبي بخط الخطاط عثمان طه) الذي أصدره مؤخراً مجمع الملك فهد وأتاحه مجانا في الموقع الخاص بالمجمع، ومن قبله كان برنامج شركة (حرف) وبرنامج شركة (العريس) وبرنامج أبجد الخاص بأجهزة الماكنتوش.

2- خدمة البرامج النصية العلمية:

وهي موسوعات تحتوي على عدد كبير من الكتب المتخصصة في القرآن وعلومه، حيث تحتوي على عشرات الكتب في علوم القرآن والتفسير والقراءات واللغة وغير ذلك.

وهي موسوعات منها ما قامت به مؤسسات تقنية متخصصة كموسوعة التراث وموسوعة العريس وأمثلها موسوعة شركة حرف، ومنها ما قام به أفراد تعاونوا فيما بينهم فقدموا (المكتبة الشاملة) المجانية.

ولكن ينبغي لمن يتعامل مع هذه الموسوعات أن يكون حذراً في التعامل مع نصوصها لما فيها من احتمالات التصحيف الناتج عن الإدخال (الصف) على الكمبيوتر، وبالتالي يحتاج إلى أن يكون لديه خلفية علمية يستطيع من خلالها كشف أي تصحيف، وكثيراً ما يحتاج إلى المراجعة والمطابقة مع الأصل المطبوع للتوثيق.

وما لبثت بعض هذه الموسوعات أن توفرت على شبكة الإنترنت من خلال المواقع الإلكترونية، التي من أشهرها موقع (الإسلام) وموقع (شبكة الإسلام) وموقع (مشكاة) وغيرها من المواقع المتخصصة.

3- خدمة التلاوة:

واستمراراً لما كان من خدمة القرآن عبر أجهزة التسجيل الكاسيت، فقد تحولت كل تلك التسجيلات إلى مواد يمكن سماعها من الكمبيوتروعبر الشبكات العنكبوتية والمواقع الإلكترونية، وظهرت الأقراص التي تحتوي على تلاوات للقرآن الكريم بمميزات متعددة:

1- تلاوة بالصوت فقط مع خلفيات صور طبيعية متحركة.

2- تلاوة بالصوت مع تحديد الآية التي يقرؤها القارئ. برسم المصحف ومن صفحاته المطبوعة.

3- إمكانية التكرار للآية بحسب رغبة السامع.

4- إمكانية عرض أحكام التجويد والتلاوة واستخدام الألوان في ذلك.

5- إمكانية تحفيظ القرآن ومتابعة ذلك من خلال البرامج الخاصة بالتحفيظ.

6- إمكانية تقييم مستوى التلاوة والتجويد وفق برمجيات متقدمة، وإن كان هذا المجال يحتاج للمزيد من الجهود والتنسيق بين المتخصصين في التجويد والقراءات وبين المتخصصين في التقنية.

و لم تبق هذه البرمجيات مقتصرة على الأقراص بل وجدت مواقع متميزة توفر التلاوات وتوفر آلية تكرار السماع والتحفيظ والمتابعة والتسميع.

كما وجدت مواقع المقاطع المرئية مثل اليوتيوب الإسلامي وغيره وفيها من نماذج القراءات المتميزة الشي الكثير.

4- الخدمة المتعددة:

وجدت برامج تقدم خدمات متعددة، حيث يبحث الباحث عن الآية فيجد مكانها في القرآن، مع وجود إمكانية سماعها وتكرار ذلك، بل ومراجعة تفسيرها من خلال التفاسير المشهورة والمعتمدة.

5- خدمة القراءات:

حيث توفرت في برامج الكمبيوتر برامج تعليمية تشرح متون القراءات وتوفر نصوصها وكيفية قراءتها، كما توفر بعض الكتب المتخصصة في القراءات، هذا بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية المتخصصة في التجويد والقراءات، ولا يخفى أن التلقين هو المعتمد في هذا الشأن.

6- خدمة المقارئ الإلكترونية:

وهي خدمة متقدمة في تعليم القرآن الكريم عبر الشبكة العنكبوتيه وتمثل استثمارا إيجابياً لهذه التقنية من خلال التعليم عن بعد عبر غرف المحادثة (الشات، البالتوك) أو برامج المحادثة المختلفة (المسنجر، سكايبي) وغيرها.

هذه المقارئ يتعلم روادها من خلالها علوم القرآن المختلفة من تجويد وقراءات وتفسير وغير ذلك، وهم في منازلهم. فكانت بفضل الله فتحاً جديداً في مجال خدمة القرآن والوصول إلى معلميه رغم بعد المسافات، لا سيما من قبل من يعيشون في بلاد غير إسلامية.

الفصل الثاني: أسس خدمة القرآن الكريم

لا شك عند كل مسلم بأن خدمة القرآن شرف يرتقي به المسلم في مراتب العز والسؤدد، كيف لا والقرآن أشرف الكتب وعلومه هي أشرف العلوم، ولعظمة القرآن فإن خدمته لا ينبغي أن تكون إلا ممن هو أهل لذلك من الأفراد أو المؤسسات، فضلاً عن ضرورة توفرأسس معينة لتكون خدمته على المستوى اللائق بأعظم الكتب المترلة وهو القرآن الكريم. هذه الأسس هي:

1- أساس التعظيم والتسليم.

القرآن كلام الله، ويجب لمن يتقدم لخدمته تعظيمه والتسليم لما جاء فيه، واعتبار خدمة القرآن الكريم من أجلّ العبادات التي يقوم بها المسلم، وبالتالي التشرف بها، لقول النبي ﷺ: "خيركم من تعلم

القرآن وعلمه"، ومن لا يعظم القرآن فلن يستطيع خدمته على الوجه المطلوب، لأن عدم التعظيم مدعاة إلى الاستهانة بهعياذاً بالله، والتقصير في خدمته، ولذلك كان هناك مآخذ كثيرة على كثير مما قام به غير المسلمين ممن حاولوا طباعة القرآن أو تفسيره، وسبب هذه المآخذ راجع إلى أسباب متعددة، منها:

- الجهل بمكانة القرآن وعظمته، وأنه كلام العظيم جل جلاله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وبالتالي محاولة تأويل النصوص التي فيها دلائل معجزة لا يصل إليها فهم البشر، أو هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه.
- ما هم عليه من كفر وعدم إيمان بالقرآن وكونه كلام الباري سبحانه وتعالى، ومن ثم يكون تعاملهم مع النص القرآني وخدمة القرآن كما يتعاملون مع أي نص يكتبه أو يؤلفه البشر.
- تنازع الأغراض الشخصية الأفكار المذهبية من بعضهم ومحاولتهم تحريف ترجمة القرآن أو نصوصه لكي يتوافق مع تلك الأفكار.
- الجهل بالغاية التي أنزل من أجلها القرآن وهي أنه كتاب هداية وإعجاز، وليس كتاب أدب أو علوم ونحو ذلك رغم ما فيه من إعجاز بياني وإشارات علمية معجزة.
- ظغيان العامل التجاري على عامل التعظيم في طبع القرآن الكريم مما أدى في بعض الأحيان إلى وجود طبعات تجارية فيها أخطاء أو رداءة في الورق والإخراج والتجليد، بما لا يليق مع تعظيم كتاب الله الكريم.

2- أساس العلم والتأصيل:

ينبغي لمن أراد أن يخدم القرآن أن يتصف بالعلم بهذا القرآن، وأن تكون خدمته قائمة وفق ضوابط شرعية دقيقة، واسس علمية متينة، فقد روى الترمذى عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ قَالَ فِى الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »(49). قَالَ الترمذي معلقاً: هَكَذَا رُوِىَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِى هَذَا فِى أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَأَمَّا الَّذِى رُوِىَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِى الْقُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ وَقَدْ رُوِىَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وقد وضع علماؤنا الأفذاذ شروطاً لمن أراد أن يخدم القرآن الكريم في مجال التلاوة والتعليم، وشروطاً للمفسر وشروطاً للمجتهد الأصولي والفقيه، وشروطاً للنحوي وكيفية استفادته من كتاب الله تعالى. كما دونوا علوم القرآن المختلفة التي وجدت لخدمة النص القرآني وتلاوته وقراءاته

---

(49) سنن الترمذي، (3206) وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

كالتجويد والرسم والقراءات والتفسيروالإعجاز والناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما ذكره السيوطي في الإتقان وكذا غيره من العلماء.

ولذلك ينبغي لمن أراد أن يقدم على أي عمل في أي مجال من مجالات خدمة كتاب الله تعالى لابد له من أن يرجع إلى أقوال العلماء في بيان حكم ما سيقوم به من عمل، وشروط ذلك ليكون عمله مؤصلاً تأصيلاً شرعيا وعلميا وبأقصى درجات الدقة والإتقان.

فمثلاً: على من أراد طبع المصحف أن يتاكد من ضبط الكتابة والنقط والقراءات وعلامات الوقف ورؤوس الآي وعددها فضلاً عن نوع الورق الراقي والمطابع الجيدة وما إلى ذلك. ومن أراد الترجمة فعليه أن يعرف حكمها وشروطها ويحققها بأعلى درجاهاا.

3- أساس الضبط والتدقيق:

حذر الله سبحانه وتعالى من الكذب عليه سبحانه، فقال جل جلاله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 37).

وأخبر سبحانه بأنه ليس لبشر أن يغير شيئا من كتاب الله كائنا من كان، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: 15).

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة 43-47).

وهذا الزجر يقتضي ممن يخدم القرآن أن يكون على قدر من المسؤولية لتحقيق أقصى درجات الضبط الممكن. والذي يمكن أن نجعله في المجالات التالية:

أ – ضبط النص القرآني:

لقد أدرك الصحابة أهمية العناية بالقرآن وضبطه والتحري في كتابته، وكان ذلك دافعاً لجمعه في زمن أبي بكر رضي الله عنه ونسخه في زمن عثمان رضي الله عنه.

ولو رجعنا لما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه عن تكليف أبي بكر رضي الله عنه له في جمع القرآن فقد قال رضي الله عنه: (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلاَ نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِى نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَىَّ مِمَّا أَمَرَنِى بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ) ففهي هذا النص يتجلى التعظيم للقرآن وأن مسؤولية جمعه أثقل من نقل

الجبال، ويتجلى العلم والضبط باختيار أبي بكرﷺ لزيد بن ثابت ﷺ (الرجل الشاب العاقل الثقة الذي كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ).

ويتجلى الضبط والتدقيق فيما رواه أبو داود في كتاب المصاحف عن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عمرﷺ لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان. وذلك عن أمر الصديق ﷺ له في ذلك، فعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فَرِقَ (خاف) أبو بكر ﷺ أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ﷺ ولزيد بن ثابت ﷺ: فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه(50).

واستمرت العناية بالقرآن الكريم وظهرت العلوم التي تخدم ذلك كعلم الرسم والضبط والتجويد وغير ذلك حتى يومنا هذا.

وفي عصرنا تجلت هذه العناية بما تقوم به المطابع المتخصصة في طبع المصحف من تدقيقها الكبير ومراجعتها الدقيقة التي تشمل كل الجوانب من النقط أو الشكل أو اهتزاز الطباعة ونحو ذلك، فضلاً عن عرض المصاحف قبل نشرها على اللجان المتخصصة لمراجعتها وتدقيقها ومنح الإذن بنشرها وتوزيعها.

ب – ضبط التلاوات القرآنية:

لقد تكفل علم التجويد بأن يضبط الأداء والتلاوة وفق قواعده المستمدة مما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن الكريم.

وفي العصر الحديث بدأت أول مرحلة من مراحل الجمع الصوتي للقرآن الكريم عام 1958م، وكان يقف وراء هذا المشروع العظيم رجل جليل، صاحب رسالة نبيلة، عاش من أجل تحقيقها، وكانت ثمرتها إذاعة أول تسجيل للمصحف المرتل منذ نزل القرآن الكريم، وإنشاء إذاعة خاصة به في مصر، ثم تلتها إذاعات أخرى في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

ذلكم هو الشيخ القارئ محمود الحصري الذي قام بتسجيل القرآن برواية حفص عن عاصم، وفق الشروط والضوابط التي وضعتها اللجنة المشرفة على التسجيل، وكانت تضم أساتذة فن التجويد والقراءات في مصر، يتقدمهم الشيخ عامر الشيد عثمان.رحمه الله تعالى

و لم يكن التسجيل هينا، فمع امتياز الشيخ الحصري في القراءة، فإن اللجنة كانت تستوقفه كثيرا ليعيد التسجيل على النحو النموذجي المطلوب .

---

(50) انظر: تفسير ابن كثير 26/1.

وبعد الانتهاء من التسجيل بدأت مرحلة طبع أسطوانات المصحف المرتل، وانتهت في 10)صفر 1381هـ الوافق 23 يوليو 1961م) حيث بدئ في توزيع المصحف المرتل للمرة الأولى في التاريخ الحديث .

وأذيع المصحف المرتل من الإذاعة المصرية بالقاهرة للمرة الأولى في صباح (الإثنين 8من ربيع الآخر 1381هـ الموافق 18 سبتمبر 1961م) إيذانا بعهد جديد للمصحف الشريف، وإعلانا عن نجاح الخطوة الأولى في مشروع "الجمع الصوتي" للقرآن الكريم.

وسن الحصري بذلك سنة حسنة لمن سجلوا القرآن بعده من القراء، وعنيت بذلك – في الجملة – إذاعات القرآن الكريم بالنسبة للمصاحف الكاملة التي تتولى إنتاجها بشكل خاص لها، ومثل ذلك ثم في تسجيلات مجمع الملك فهد في المدينة المنورة.

وهنا تجد الإشارة إلى أمر خطير فيما يخص التسجيلات الصوتية وضبطها، وهي انتشار التسجيلات الصوتية لقراء التراويح وأئمة المساجد، لا لأنهم يملكون الإتقان في الأداء أو لأن تلاواتهم تمت مراجعتها وإجازتها من جهات موثوقة، وإنما لما تدره تلاواتهم من دخل مادي على التسجيلات أو نسبة مشاهدة في القنوات بسبب شهرتهم وجمال أصواتهم. وتتمثل خطورة هذه التسجيلات فيما يلي[51]:

1 – أن القائمين على هذه التسجيلات لا يراعون فيها شيئًا أكثر من جمال صوت القارئ –في غالب الأحيان، أو شهرته.

2 – أن هذه المصاحف يكون فيها من الأخطاء ما لا يغتفر مثله في موضع التسجيل، وإن اغتفر في الصلاة مثلاً، لأن القارئ عرضة للخطأ، ولا يتيسر له تصحيح الأخطاء دائمًا، بخلاف المصاحف المسجلة، فإن سامعها يثق أنَّها قرآن صحيح لا خطأ فيه.

3 – أن هذه التسجيلات لا يتوفر لَها من يراجعها لا في أثناء القراءة، ولا قبل العرض والإذاعة، فضلا عن أن يوجه القارئ إلى وجه الصواب أثناء قراءته في الغالب، ولا شك أن القارئ – غالبًا– أقل بصرًا بأخطائه ممن يسمعه، خاصة إذا كانوا من أهل الحذق والإتقان.

ومن هنا أدعو إلى منع تداول أو عرض أي تسجيل صوتي أو مرئي للقرآن الكريم دون عرضه على الجهات المعنية الموثوقة التي تراجعه بدقة وحرفية عالية قبل أن تجيزه.

---

[51] انظر: جمع القران في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد (نسخة إلكترونية) على الرابط: http://qurankareem.info/a/soundQuran.zip

كما أدعو إلى توفير الكوادر المؤهلة في الجهات المعنية بذلك لما لديها من نقص في الكوادرالمتخصصة في ذلك، وان يصل الاهتمام في المصاحف المسموعة ودقتها إلى مستوى الاهتمام الذي حظيت به المصاحف المطبوعة.

4- أساس الجودة والتحسين:

إحسان العمل وإتقانه صفة مميزة من صفات المؤمنين الصادقين الذي يسعون لمحبة الله تعالى ومرضاته، والقرآن أعظم ما لدى المسلمين، فيجب أن تسخر له أعظم الإمكانيات، وهذا من تعظيم القرآن والله تعالى يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32).

ولذلك نجد أن خدمة القرآن الكريم هي أحوج ما تكون إلى اعتماد أعلى مقاييس الجودة لما للقرآن الكريم من مكانة عظيمة في الإسلام ولدى المسلمين، ونجد مثالا حقيقيا لذلك فيما رواه أبو لبابة قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ)). قَالَ فَقُلْتُ لاِبْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ قَالَ يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ(52).

فإذا كان هذا في الصوت الذي يُسمع مرة واحداً، فلأن يكون في الصوت المسجل أو في النص المكتوب الذي يتكرر سماعه والاطلاع عليه من باب أولى.

وقد قال النبي ﷺ: ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه))(53).

وإذا أردنا الوصول إلى أفضل وأجود الأعمال في خدمة القرآن الكريم لا بد من ما يلي:

أ – توفير أفضل الإمكانات المادية وأحدث التقنيات اللازمة والمتخصصة.

ب- تأهيل الكوادر اللازمة للقيام بالعمل والوصول بهم إلى أعلى الدرجات العلمية والمهنية التخصصية.

ج – الأخذ بما يعرف في عصرنا بمصطلح **الجودة الشاملة** والذي يقوم على عدة ركائز من أهمها:

1- اعتماد أسلوب المشاركة وفرق العمل بدلا من أسلوب المركزية القائم على الفردية.

2- معاملة كل فرد من أفراد فريق العمل باعتباره جزءاً فاعلاً يستطيع أن يسهم بفكره وجهده وإبداعه في تطوير المؤسسة متى ما أتيحت له الفرصة لذلك. بدلا من معاملته كجزء في آلة.

3- بناء العمل بمنهجية قابلة للتغيير والتطوير، بدلاً من الجمود الفكري.

---

(52) سنن أبي داود (1473).

(53) رواه الطبراني في الأوسط (909).

4- اعتماد أسلوب حث العاملين وتحفيزهم لأخذ زمام المبادرة في القيام بالأعمال، وتفجير طاقاتهم والثقة في قدراتهم بدلاً من اعتماد أسلوب التردد والخوف وعدم الثقة.

الفصل الثالث: متطلبات الخدمة المثلى

كل مسلم يتمنى أن يخدم القرآن ويحب ذلك ويتقرب إلى الله تعالى به، لكن هذه العاطفة لا تكفي للوصول إلى أعلى المستويات في إتقان العمل لخدمة القرآن، بل لا بد من التأهل لذلك قبل البدء بالعمل من خلال ما يلي:

أولا: توفير المعرفة والمعلومات:

فكل عمل في خدمة القرآن الكريم، لا بد له من خلفية علمية يقوم عليها، لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح. ولكي تتحقق الخدمة المثلى للقرآن الكريم لا بد من العلم بمستلزمات هذه الخدمة وتأصيلها الشرعي، وتوفير المعرفة والمعلومات المتخصصة في القرآن الكريم للمؤسسات العاملة وللعاملين في مجال خدمة القرآن الكريم، وذلك من خلال الوسائل المتاحة، كالكتب والرسائل والمواقع الإلكترونية والمجلات العلمية المتخصصة، وتحديد الحد الأدنى لما ينبغي على المتخصص أن يحصل عليه من العلوم في كل مستوى من مستويات خدمة القرآن الكريم، حتى لا يتصدر للخدمة من ليس لها بأهل، وبالتالي يسيئ أكثر مما يحسن، فمثلاً لا يقبل أن يعلم تلاوة القرآن إلا من أتقن التجويد نظرياً وعمياً وتمكن بما يجعله قادراً على تعليم تلاوة القرآن وتجويده.

كما ينبغي العمل على تأهيل العاملين في خدمة القرآن الكريم للتعامل مع وسائل ومصادر التعلم الجديدة المتمثلة في البرامج والمواقع والتقنيات الحديثة المنتشرة.

وكذا تثقيف العاملين في المجالات التقنية بأهمية خدمة القرآن الكريم وإعطائهم معلومات أولية عن علومه الأساسية حتى يقوموا بالأعمال التقنية عن حب ومعرفة.

ويمكن أن يتم ذلك من خلال توفير مرجعية علمية موحدة في مجال القرآن الكريم وعلومه تحمل على كاهلها ما يلي:

1- وضع الضوابط والمعايير للمشاريع الخدمية في مجال القرآن وعلومه.

2- القدرة على الاجتهاد الجماعي في مجال البحوث المتعلقة بالقرآن وعلومه.

3- القدرة على التوثيق العلمي للعاملين في مجال خدمة القرآن الكريم وعلومه.

ولا يخفى على كل أحد أن المشروعات لا يصح أن تنطلق دون جمعها للمعلومات وإعدادها للدراسات في مجال المشروع، فمثلاً عند التوجه لترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة معينة فلا بد من

معرفة المعلومات عن وجود ترجمات سابقة باللغة نفسها، ولا بد من معرفة عددها وأماكنها والقائمين بها، ومن ثم لابد من الاطلاع عليها، وهكذا في كل مشروع لخدمة القرآن تشكل المعلومات عصباً أساسياً لأي مشروع من مشاريع خدمة القرآن الكريم.

ثانياً: تقديم الدعم والإمكانيات.

يعتبر المال عصب الحياة في كل مجال من المجالات، وقد أجاز الفقهاء لمن يتفرغ لتعليم القرآن أن يأخذ أجراً على ذلك لكي يستمر في تعليم القرآن فلا يشغله طلب الرزق عن القيام بواجب التعليم.

ومن هناك ينبغي أن نعلم أن القيام بمشاريع رائدة لخدمة القرآن الكريم لا يمكن أن تقوم بدون توفير الدعم المادي الكافي الذي يلبي احتياجاتها ومتطلباتها الحاضرة والمستقبلية.

والواقع يخبرنا بأن أقوى المشاريع في خدمة القرآن الكريم هي المشاريع التي قامت بدعمها الحكومات، أو قامت وفق نظرة مؤسسية شاملة وعلى موارد ثابتة ولها أوقاف كافية، فهناك مصحف قطر، ومن قبله مصحف المدينة النبوية وهناك الجمع الصوتي والمصاحف المرتلة التي قامت بتسجيلها الإذاعات الحكومية.

والغرض من ذلك كله أن لا يتعثر العمل في خدمة القرآن في أي مجال، أو أن يخرج العمل في صورة دون المستوى الأعلى من الجودة والإتقان الذي يليق بكتاب الله تعالى، أو أن يشوبه شيء من الخلل والخطأ في العمل ويكون سبب ذلك نتيجة نقص الدعم المادي أو قلة الموارد المالية.

فكل عمل من أعمال حدمة القرآن يحتاج إلى دعم مادي وإمكانيات لابد من توفرها بالقدر الكافي لمشروعات ذات جودة ممتازة وبمستوىً عالٍ يتناسب مع عظمة وقدسية القرآن الكريم، ولا يمكن أن تقوم المشروعات على إمكانيات متواضعة قاصرة عن الوفاء بمتطلبات الجودةن ولا ينبغي للمشروعات القرآنية أن تعتمد على تبرعات المحسنين التي ليس فيها استمرار ولا استقرار، ولذلك كان لا بد من التفكير في وسائل وأداوات تمويلية توفر الدعم اللازم للاستمرار والتميز في الخدمة القرآنية، ومن المقترحات في ذلك:

-اعتماد نظام الوقف في الإسلام.

-توفير بعض البرمجيات والمنتجات العلمية ذات العلاقة بالقرآن الكريم بمقابل مادي يكون ريعه لدعم المشاريع القائمة والمستقبلية.

-اعتماد فكرة الرعاية للمشروعات والبرامج والمؤسسات والمواقع ذات العلاقة بالقرآن الكريم.

والإمكانيات المطلوبة ليست مقتصرة على توفر المال وإن كان هو الأساس، بل يدخل في هذه الإمكانيات إختيار أفضل الجهزة والمعدات، وأرقى المواد والخامات، وأفضل الدراسات والاستشارات وهكذا.

ثالثا: تبادل التجارب والخبرات:

يسعى كل مسلم لأن يكون له دور في خدمة القرآن الكريم، ولا شك بأن هناك سابقون دائماً في هذا المجال، ولذلك ينبغي لمن يسعى للقيام بأي عمل يخدم فيه القرآن الكريم أن يستفيد من تجارب السابقين له في هذا المضمار، لأن الهدف في النهاية خدمة كتاب الله تعالى وليس شيئاً آخر.

وإذا كان ذلك على مستوى الفرد فإنه على مستوى المؤسسات والجمعيات والدول والحكومات من باب أولى ؛ ولذا كان لا بد من التكامل بين الجهات ذات الاهتمام والعناية بخدمة القرآن الكريم حتى لا تتكرر الجهود وتضيع الأوقات فيما كان يمكن الاستغناء عنه من خلال الاستفادة من جهود سابقة.

وهذا أمر لا غضاضة فيه، بل فيه اجتهاد في الوصول إلى الكمال في مجال خدمة القرآن وبالتالي الحصول على الأجر وإتقان العمل وتلافي السلبيات التي وقع فيها السابقون، وكذلك الا مواكبة التطور الحاصل لا سيما في المجالات التقنية.

على أن يكون ذلك مترافقاً مع نسبة الفضل لأهله وعدم التنكر لهم، وأهل القرآن والعاملون في مجال خدمته هم أو لى الناس بذلك.

رابعاً: اعتماد المهنية والمؤسسية:

إن القيام بعمل يخدم القرآن الكريم باستمرار يمثل صدقة جارية لمن يقوم به، ولكي يستمر العمل ولا يتوقف لا بد أن يقوم على أسس أولية لا بد منها في كل مشروع، ومن هذه الأسس:

1- اعتماد دراسات الجدوى على نسق ما هو معمول به في المشاريع التجارية، مع العلم بأن المردود هنا إنما هو أخروي بالدرجة الأولى. وفائدة هذه الدراسات معرفة مدى الحاجة للمشروع أو الفكرة والسبل المثلى لتنفيذها والجهود السابقة وكيفية الاستفادة منها، وآليات التنفيذ المثلى لها.

2- اعتماد المهنية في المجالات المختلفة للعمل: فلا يوكل أي عمل له علاقة بخدمة القرآن الكريم إلى غير المتخصصين في المجال الذي يراد خدمة القرآن من خلاله، مع التاكيد على اهمية تكامل جهود ومهنية هؤلاء مع علم المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه.

3- اعتماد المؤسسية التي تعمل بموجب النظم واللوائح المفصلة لجوانب العمل المختلفة، بحيث تتحدد الصلاحيات وتوجد آلية المتابعة والرقابة وتحميل المسؤوليات عند حصول التقصير في أداء المهمات.

4- اعتماد نظم العمل المؤسسي القائمة على التخطيط والبرمجة ومؤشرات الأداء ومعايير النجاح، ونظم الجودة الشاملة، وبذلك يكون العمل بالأنظمة والخطط وليس بوجود الأشخاص والمدراء.

البعد عن المحسوبيات والعلاقات الخاصة التي تؤثر على جودة العمل في مجال خدمة القرأن الكريم، بل يكون الدافع والضابط في كل اختيار هو: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ و ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾.

الفصل الرابع: نحو مشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم

إن من أولى مهمات المسلمين اليوم إيصال دعوة الإسلام إلى العالمين، ومن هنا يمكننا أن نحدد رؤية مشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم تتمثل في: (تمكين الإنسانية من الانتفاع من المصحف الشريف). وفيما يلي التصور المقترح للمشروع في صورة مجموعة أفكار ومشروعات مراكز تخصصية أساسية:

(المركز العالمي لمعلومات ودراسات القرآن الكريم):

أولا: الفكرة:

- تأسيس أول مركز معلومات وأكبر موسوعة معرفية حول المصحف الشريف.
- إتاحة هذه الثروة المعلوماتية لكل من ينتفع بها.
- تسخيرها لخدمة مراكز الأبحاث والترجمات الخاصة بالقرآن الكريم.

ثانيا: مصنفات معلومات المركزالموسوعية:

1) قاعدة بيانات الاحتياج :جمع المعلومات من مختلف المصادر حول المصحف الشريف من حيث مدى توفر نسخه الموجودة في كل دولة ومدينة حول العالم (النوع – الكمية – المواصفات الفنية – القراءات المطبوعة – الترجمات المتوفرة)، مع تحديد مقدار الاحتياج الحالي والمتوقع مستقبلا، ويمثل موقع سهم النور على شبكة الانترنت أحد أهم المصادر لتحديد جهات الاحتياج.

2) قاعدة بيانات تحفيظ القرآن: حصر مؤسسات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والكتاتيب وحلقات التحفيظ.

3) قاعدة بيانات الطباعة: حصر وتصنيف كافة المؤسسات أو الجهات الحكومية أو التجارية أو الخيرية التي تقوم بطباعة المصحف الشريف، مع بيان التفاصيل الفنية والقدرة الانتاجية والبيانات المهنية الأخرى لكل مؤسسة.

4) قاعدة بيانات التوزيع: حصر للجهات المتخصصة في توزيع المصحف الشريف، وآليات التوثيق المستخدمة لديها، والجهات المستفيدة منها، والنطاق الجغرافي التي تعمل فيه، والإمكانات المتوفرة لدى المؤسسة.

5) قاعدة بيانات الترجمات: جمع البيانات والأبحاث العلمية والجهود المختلفة المتعلقة بالترجمات المختلفة، والجهات المتخصصة أو العاملة في مجال ترجمات المصحف الشريف، وكذلك جمع المعلومات حول القواعد والأصول والضوابط والشروط المتعلقة بالترجمات من المصادر الموثوقة، و تحديد الترجمات الجاري العمل عليها والمخطط لها مستقبلا، والمعايير المعتمدة للتدقيق والاعتماد والتصديق على الترجمات.

6) قاعدة بيانات مراكز العناية بالمصحف الشريف: وتضم كافة الجهات العاملة في مجال ترميم وإصلاح نسخ المصحف الشريف وعناوينها حول العالم ومصادر جمع المصاحف لديها ومصادر توزيعها بعد الترميم، وقدراتها الانتاجية والموارد المتوفرة لديها بشريا وفنيا.

7) قاعدة بيانات مؤسسات بيع المصحف الشريف: وتضم كافة المعلومات المتعلقة بأسعار نسخ المصحف الشريف حول العالم والمؤسسات المتخصصة في بيع نسخ المصحف الشريف، وجمع المعلومات الفنية بهذا الخصوص (الترجمات التي تباع – الكميات المتوفرة – مصادر الحصول على المصحف – الجهات المستفيدة (المشترية)..)

8) قاعدة البيانات العلمية: وتحتوي على رسائل الماجستير والدكتوراة والأبحاث الأكاديمية والعلمية والمجلات والنشرات الدورية و المناسبات والملتقيات والتسجيلات والمجلات والمخطوطات والصور والملتيميديا المتعلقة بالمصحف الشريف.

9) المواقع الالكترونية ذات الصلة: جمع الوصلات الالكترونية لكافة المواقع ذات الصلة بمركز المعلومات.

10) قاعدة بيانات الأعلام: وتحتوي على أسماء الشخصيات والمرجعيات واللجان والجهات العاملة في مجال خدمة المصحف الشريف سواء في مجال كتابة المصحف (خط) أو الترجمات أو الطباعة أو التوزيع أو الترميم أو....

ثالثا: مميزات المركز:

-مصداقية وموثوقية المعلومات المنشورة عليه.

-تحديث دائم للبيانات.

-توفر خاصية البحث المتعدد الوظائف لسهولة الحصول على المعلومة المطلوبة

-توفر إمكانية طباعة التقارير الاحصائية.

-توفر إمكانية الرسومات البيانية للمعلومات الاحصائية.

رابعا: أقسام المركز:

-قسم الإحصاءات والتقارير

-قسم الأخبار والمعلومات

-قسم الدراسات والبحوث

(المركز العالمي لترجمات معاني القرآن الكريم):

إن هدف استمرارية إنتاج المصحف الشريف وترجمات معانية بالوسائط المختلفة وتوزيعه لكافة شعوب العالم أمر مهم جداً، وقد أظهرت الدراسات أن ما يتم إنتاجه حاليا من المصحف الشريف وخصوصا في مجال ترجمات معانيه لا يكفي لسد الحاجة الماسة والطلب المتزايد للحصول على نسخ المصحف الشريف من المسلمين وغير المسلمين على مستوى العالم، و كان من أبرز الحقائق التي أظهرتها الدراسات بهذا الخصوص ما يلي:

1) محدودية مصادر الطباعة المجانية للمصحف الشريف.
2) ندرة توفر المصاحف لدى أعداد كبيرة من المسلمين من غير العرب.
3) الإقبال المتزايد على القرآن الكريم من المسلمين وغيرهم.
4) النمو السكاني المطرد لعدد المسلمين و غير المسلمين في العالم.
5) الحاجة الملحّة لمزيد من ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة.
6) محدودية عمر المصحف المطبوع (من 3 الى 5 سنوات) والحاجة إلى إعادة الطباعة بشكل دائم.

ولأن المشروع متعلق بكتاب الله ودستور الأمة الإسلامية الخالد، والنور المبين للناس أجمعين، ولحاجة الإنسانية جمعاء إلى نور المصحف الشريف، ونظرا لما تحتله المعلومات في عصرنا الحالي من أهمية كبيرة في قضايا التخطيط والتطوير والابتكار.

ولكي يؤدي هذا المركز وظيفته على الوجل الأمثل ينبغي أن يتم من خلاله ما يلي:

1- وضع آلية العمل المثلى لترجمات القرآن الكريم وشروطه.
2- وضع منهجية وآلية المراجعة والتوثيق للترجمات.
3- وضع آلية ومنهدية للتحديث والمراجعة للترجمات المطبوعة بشكل دوري.
4- دراسة أولوية اللغات التي تترجم إليها معاني القرآن الكريم.

(المركز العالمي لخدمات التقنية والانتاج):

الفكرة: توفير مرجعية في الجوانب التقنية والمعلوماتية ذات الصلة بخدمة القرآن الكريم.

أهدافها:

1- توفير المادة العلمية الصحيحة اللازمة لإنتاج البرامج والمواقع الإلكترونية.
2- وضع الضوابط اللازمة والمواصفات والمقاييس للخدمات التقنية.
3- مراجعة المنتجات التقنية والإلكترونية وإجازتها للاستخدام.

4- توثيق المعلومات المتعلقة بالبرامج والمنتجات لتمييزها عن المنتجات غير المنضبطة بالضوابط والمعايير.

5- فضح محاولات التشويه التي تقوم بها بعض المواقع المشبوهة والتي يدعمها أعداء الإسلام.

(**المركز العالمي لخدمة الإقراء والإجازة**):

الفكرة: توفير قاعدة بيانات للمجازين والمؤهلين للقيام بالإقراء والممارسين لعملية الإقراء في العالم الإسلامي.

أهداف المركز:

1- وضع وثائق للإقراء ومنح الإجازات بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

2- إعداد الأدلة والنماذج لطرق تعليم التجويد والقراءات القرآنية والطرق المثلى في ذلك.

3- وضع معايير لمستويات الإتقان في قراءة القرآن الكريم بقراءاته المختلفة.

4- تعريف الناس بأهل القرآن ووضع تراجم عنهم.

5- ربط المتخصصين بالقرآن وعلومه مع الجهات التي تحتاج إليهم في مراجعة الأعمال التي تخدم القرآن الكريم.

6- القدرة على الاجتهاد الجماعي في مجال البحوث المتعلقة بالقرآن وعلومه.

7- القدرة على التوثيق العلمي للعاملين في مجال خدمة القرآن الكريم وعلومه.

8- كشف الأدعياء الذين يتكسبون من خلال تزييف الإجازات القرآنية.

9- مراجعة التلاوات والمصاحف المطبوعة والمسموعة والمرئية والإلكترونية.

(**المركز العالمي لخدمة القرآن**):

الفكرة: معاً لخدمة القرآن الكريم

وتهدف إلى توحيد الجهود في خدمة القرآن الكريم وتكاملها وفق أنظمة العمل المؤسسي، بحيث تتكامل الجهات ذات العلاقة بخدمة القرآن الكريمة وتتكاتف جهودها للقيام بالخدمة على الوجه الأكمل وعلى أوسع نطاق وفي كل مجال بأعلى درجات الجودة والإتقان في العمل بما يليق بكتاب الله تعالى الجامع للمسلمين، والمراد بهذا المركز هو المركز الجامع الذي تنضوي تحته المراكز السابقة كلها ويكون هو الجامع لها والمنسق بينها.

مواصفات المركز:

1- الجانب الرسمي القانوني.

2- التمكن العلمي.

3- القدرة على تقديم الخدمات المطلوبة للعاملين في المجال القرآني بحيث يستغنون بالرجوع إليها عن الرجوع إلى غيرها من الأفراد أو المؤسسات.

أهداف المشروع:

1- ربط الجهات العاملة في خدمة القرآن الكريم ببعضها البعض.

2- تنسيق الجهود بين الجهات والأفراد.

3- تحويل الجهود الفردية إلى أعمال مؤسسية رائدة ومستمرة.

4- توفير الغطاء القانوني للعاملين في مجال خدمة القرآن الكريم وعلومه.

5- رفع المستوى العلمي للعاملين في مجال القرآن الكريم وعلومه.

6- تطوير العمل في مجال خدمة القرآن بما يتناسب مع العصر ومتطلباته.

7- توفير الدعم المادي والمعنوي للعاملين في مجال خدمة القرآن الكريم وعلومه.

8- تنسيق الجهود في مجال خدمة القرآن الكريم وعلومه.

نماذج لمشاريع رائدة تمثل خدمة عالمية متميزة للقرآن الكريم:

أولاً: الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي (في مجال تعليم وتحفيظ القرآن الكريم).

ثانياً: مشروع سهم النور الوقفي (في مجال إنتاج وتوزيع المصحف الشريف).

وأخيراً فإنني أعتقد أن من المهم بل من الواجب أن تتبنى منظمة المؤتمر الاسلامي كياناً عالمياً إسلامياً يختص بخدمة القرآن الكريم على مستوى الدول الإسلامية، على غرار المؤسسات الإقتصادية (البنك الإسلامي للتنمية)، والمؤسسات الثاقفية والتربوية (المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة)، والقرآن الكريم أولى بذلك، ومثله السنة النبوية المشرفة.

الخاتمة:

هذه جولة ممتعة نافعة في أعظم مقصد وأجل مطلب وهو خدمة القرآن الكريم، أسأل الله أن يكرمنا بخدمة كتابه وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، والحمد لله رب العالمين.